



اسم المقال: البطل "دراسة في تاريخ المفهوم فلسفياً"

اسم الكاتب: م.م. صباح حمودي نصيف

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/1951>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 23:35 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



البطل - دراسة في تاريخ المفهوم فلسفياً

المدرس المساعد

صباح حمودي نصيف (*)

المقدمة

منذ ان وجد الانسان على هذه الارض، اخذت تتصارع نزعته عدة ونظرات
 ورؤى وتوجهات، يبحث فيها عن الأمل، فالأمل، لان ذلك يشكل عنده حاجساً أحاط
 به من كل جانب نتيجة مآشاهده من تناقضات على أرض الواقع المعاش. فأخذ يبحث
 عن كل ماهو خال من العيوب والتناقضات والصراعات التي لاتفضي الا الى الفساد
 والتحلل والظلم. ولكن وجد ان هذا لايقوم الا بتوافر جملة أمور ذات أهمية قصوى
 فيه أولها وجود المخطط-الموجه-المنفذ في مثل هذه اللحظات لأن الانسان، بطبعه
 كما يرى الفلاسفة، اجتماعي مدني لن يوفر لنفسه كل مايريد إلا بمعونة الآخرين من
 جنسه ومعاضدتهم اذ ان هذا التآزر كثيراً مايقود الى التناقض والتحارب فيما بين
 الشر وسيادة ماهو غير صالح ولا أخلاقي على ماهو صالح وخير وفاضل احياناً.
 فجاء اهتمام الانسان بموضوع المنفذ، الملهم، الشجاع البطل جزءاً من نظرة
 الانسان الكونية السياسية الاخلاقية التربوية، وظل هذا الرمز شاغلاً لكل فلسفة وحكمة
 وشريعة. اذ ان البحث عنه سمة لازمة وجدلية لمسيرة الانسان عبر التاريخ ومن ثم
 شكل موضوع البطل تراثاً فكرياً وفلسفياً عميقاً ومديداً في الحضارات الانسانية
 عتمة وفي رموزها خاصة اذ لانجد حضارة أنسانية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ
 الا ونجد للبطل والبطولة مكانها فيه سواء في سماته وخصاله أو في صورته المتخيلة
 لدى شعوب هذه الحضارات وشرائعها الدينية والديوية وثقافتها.
 كل هذا، قادنا الى البحث في أهمية هذا المفهوم وابعاده الفلسفية والفكرية
 والاخلاقية لاهميته حاضراً ومستقبلاً. اذ وجد الباحث ان البطل يشكل مهمازاً وموجهاً
 في لحظات الخطوب والازمات والتناقضات والتناحرات التي يمر بها شعبنا الآن مما
 حابه الى ان يدرس هذا الموضوع دراسة علمية فلسفية (نظرية وتطبيقية) لاهميته
 ويكتشف عن بنية البطل ودوره في التاريخ والحضارة من جانب، ولتقديم تصور علمي
 لهذا الموضوع من جانب آخر، عليه سيعمد كاتب هذه السطور إلى تناول المحاور

الآتية (البطل لغة وأصطلاحاً، البطل صانع التاريخ، سمات البطل وخصاله، إعداد البطل وتتشنته عند الفلاسفة).

المحور الأول - البطل والبطولة:

البطل (The Hero) والبطولة (The Herosim) هي أحد أهم الموضوعات التي شغلت الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع وفضلاً عن المؤرخين والسياسيين، ذلك لما يشكله من أهمية مركزية في فهم صيرورة التاريخ والعوامل الفاعلة المؤثرة في بنية المجتمع ونظمه السياسية وقيمه الخلقية ورؤيته الاجتماعية. إذ إن عظماء الأمم علامات مضيئة في دنيا الابداع الفكري لما عرفوا به من شمولية وسعة أفق حتى أصبح كل منهم ارتثاً للإنسانية جمعاء^(١). إذ هناك من أرجع نظرية (البطل) أو (الرجل العظيم) إلى عهد الاغريق الذين أرسوا قواعدها واخذوا بها فمثلاً نجد الفيلسوف اليوناني جورجياس (٣٧٥ ق.م) أشار إلى فكرة البطل القومي بقوله: "القوي هو المتغلب والمسيطر على الضعيف لأن مظهر الحياة هو تغلب الاقوى وهذا التغلب هو طريق الانسان في كشفه عن سعادته، ومهما يكن فلا تخلو العصور الحديثة من مواقف تتوافق مع هذه النظرية الجادة خاصة في (فكرة البطل) أو عبادة الانسان المتفوق الكامل". كما سادت هذه النظرية وطغت على تفكير الرومان في التاريخ ومن ثم بقيت حتى القرن التاسع عشر لها تأثيرها الواضح في الاحداث التاريخية^(٢). ولهذا عدت من النظريات البارزة التي اثير حولها جدل وتأويل كبيران بين المؤرخين والمفكرين وفلاسفة التاريخ، ولاسيما التساؤلات التي اثيرت بصدد اعطاء الأولوية (للفرد) (المجتمع) في صنع الاحداث التاريخية والحضارية، كما اختلفت التأويلات حول مفهوم (الرجل العظيم) وحول ما اذا كان بالإمكان عده رمزاً للقوانين التاريخية أو أنه غير عليها أو تعبير عنها أو أداة لها أو نتيجة منبثقة عنها، ومع هذا فإن هذه التأويلات بوجود خصائص تميز (الرجل العظيم) من غيره من الرجال العاديين الذين يحل في التاريخ^(٤).

بينما أرجع آخرون نظرية البطل ومنشأها إلى الفكر العراقي القديم والتميز بملحمة كلكامش، ذلك البطل الاسطوري الذي نظرت إليه كل الادبيات القديمة على البطل المميز الذي أدى دوره الرئيس في توطيد اركان مملكته في أور الكلدانية.

(١) د. علي حسين الجابري: قراءة معاصرة لأراء اهل المدينة الفاضلة، بحث مستل من مجلة زانكو العلمية الانسانيات، طبعة الجامعة السليمانية، نيسان ١٩٧٧، ص ٢.

(٢) د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيين من طاليس إلى سقراط، ط ٢، بيروت ١٩٧٥، ص ٣٧٤.

(٣) حسين فوزي النجار: التاريخ والسير، (ب.ط) القاهرة ١٩٦٤، ص ٢٦ وما بعدها.

(٤) سدني هوك: البطل في التاريخ، ترجمة مروان الجابري، مراجعة انيس فريحة، المؤسسة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩، ص ٢٨، وان الحديث عن مميزات أو خصال البطل سيأتي مجالاً نشير إليه في ثنايا هذا الفصل.

كانت هناك نصوص تشير الى استخدام كلمة (الرجل العظيم) في الحضارة السومرية
من ملحمة كلكامش، اذ ان في هذه الحضارة ظهر لقب (لوكال Lugal) ومعناها
الحرفي (الرجل العظيم)، وقد غدا منصب الرجل العظيم وراثياً ويستمد سلطانه من
الطولة ودورهما في توطيد اركان الدولة وتنظيم المجتمع وقيادته وتوجيهه^(١).

ولهذا اختلفت الآراء في تحديد دور (البطل) او مهمته في التاريخ فيما اذا كان
عسكرياً او مفكراً او مصلحاً اجتماعياً او فيلسوفاً او حاملاً رسالة سماوية (نبياً)
او فرداً يتصف بالمواهب العبقريّة او ممن يجمع هذه الصفات، اذ اشار (هوك) في
تحليله للبطل مفهوماً وممارسة عبر التاريخ الى انه صانع الاحداث بقوله: "الرجل
الصانع للاحداث هو [رجل الاحداث] لكن افعاله هي نتائج طاقات وملكات وذكاء حاد
وقوة قوية وشخصية بارزة اكثر مما هي نتائج حوادث عارضة ناجمة عن مركزه،
بل ان يميز يحاول (هوك) ان يبين بان البطل هو عظيم ليس فقط بسبب مايفعل ولكن
بسبب سجاياه وماهيته"^(٢)، وهي الدفاع عن الارض والذود عن الحرائر، هي الكرم
والشجاعة والمرؤة والصبر والجند وقوة الشكيمة، هي المبادرة والقرار الشجاع، هي
الاحسان والرجولة والشرف، هي التحدي والتعرض والاقترام والاستبسال دفاعاً عن
الحق، هي الاخلاص والوفاء والايامن الراسخ بقيم الارض وقوانين السماء، هي
التميز بين الرجال في افضل سجاياهم والحضور المطمئن في ساعات الشدة، والوجود
الحق في سبيل الحق، وبأختصار انها صناعة المجد^(٣).

عليه، سنحدد هنا، مفهوم البطل كما ورد لدى اللغويين والاصلاحيين اللغويين
معين، تحديداً دقيقاً لمعنى البطل، اذ يحدد عندهم من الشجاعة وهو الذي يبطل
الظلم والظلمة^(٤). ومن هنا نفهم ان اللغويين عندما حددوا معنى البطل ربطوه بمعنى
الشجاعة، لأن الشجاعة عندهم هي من شدة القلب عند البأس^(٥). ويقال للقوم الاشداء:
الرجال، فالشجاعة (هيئة حاصلة للقوة الغضبية فهي (وسط) بين التهور والجبن وبها
الرجولة) على امور ينبغي ان يقدم عليها للقتال^(٦). اذ وردت هذه الفكرة لدى

١- عبد الرضا الطعان: الفكر السياسي في العراق القديم، ج ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨١، ص ٣٣٥ وما بعدها.

٢- توينبي: بحث في التاريخ، ترجمة طه باقر، ج ٢، (ب. ط)، بغداد ١٩٥٥، ص ١٨٠٠.

٣- هوك: المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٨٠.

٤- هوك: المصدر نفسه، ص ١٧٥.

٥- سغوف: المنجد في اللغة والأدب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠ م، مادة (بطل)، ص

٦- ابن جرير: تاج المعجم، ج ١، ص ٣٣٠.

٧- محمد الحسيني الجرجاني: التعريفات، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨، ص ١١٠.

افلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) من قبل في كتابه الجمهورية: ففي حديثه عن الشجاعة يقول: انها فضيلة وسط بين التهور (الاندفاع) من جهة والجبن من جهة اخرى، فهي وسط بين الافراط والتفريط^(١٢). في حين يذكر مع لفظ البطل، البطلان وهو خلاف مرادنا وجدده اللغويون أنه من البطل أي الهدر والضياع أو عدم الانعقاد^(١٣). وهنا يتبين مدى تداخل لفظ البطل مع ألفاظ اخرى تؤدي الى المعنى ذاته عند من حدد هذا المعنى من اللغويون.

اما البطل اصطلاحاً :

فهو قرين البطولة، والبطولة (The Herosim) هي صفة البطل والتي تشتت على الشجاعة، والسماحة والاحكام الامور، والنظام، ورباطة الجأش في الملمات وصلابة العود، وشدة القلب، واحتقار الموت، والشهامة^(١٤).

فالبطولة اذن تتمثل في الملاحم بتمثيلات تؤهلها للقيام بأفعال خارقة للعادة من خلال مؤهلات البطل، ولهذا يقال عن البطل من الرجال، شجاع، والبطلة من النساء شجاعة، ولاسيما ان (ملحمة كلكاش) خير دليل على ذلك، وهذا مما وضحناه انفاً، ف تضم الكثير من القصص، ويرجع بعضها الى ايام السومريين، أي ما قبل السيد المسيح بنحو (٢٧٠٠ سنة)، ومن هذه القصص النص البابلي الذي كان بطله (كلكاش) اذ كان حاكماً حقيقياً لاوروك، أي (الوركاء)، ومن هنا نلاحظ ان البطل يتخذ مكانة التقدير عند قومه من خلال أسباغ آيات العظمة عليه، سواء في حياته أو بعد موته. لما عد اليونانيين فوصل الامر حد العبادة لألهتهم وابطالهم، فقد يكون هذا البطل واقعياً أو من صنع الخيال الشعبي، اذ كانت طقوس عبادة الابطال تقام عادة حول قبر البطل واحياناً تقام لبعضهم في كل مكان^(١٥)، ولهذا اتخذ البطل عنصراً خلاقاً للعالم، فارتفع المجتمع يحال الى سير الشخصيات العظيمة و(عبادة البطل)، هذا ما يقدمه توماس كارلايل (ت ١٨٨١م) في كتابه (الابطال وعبادة البطل والبطولي في التاريخ)^(١٦) كانوا يقفون امام البطل مذهولين، كأنما يخفي في دواخله قوى خفية، وفي رأي

(١٢) افلاطون: الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط٣، ك٦، القاهرة ١٩٢٨، ص ١٤٧.

(١٣) ابو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ط١، مجلد ١٣، دار صادر، بيروت ١٩٣٠.

مادة (بطلان)، ص ١٣.

(١٤) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢، مادة (بطولة).

ص ٢١٢.

(١٥) اشرف محمد شفيق غريال: الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم وفرانكلين للطباعة والنشر.

(ب.ت) ص ٣٧٨ وكذلك: الرازي، مختار الصحاح، مادة (بطولة) ص ٤٧. وقارن: علي حيدر.

تأملات في تفسير التاريخ ودور الابطال في حركته، مجلة الموقف الثقافي، دار الشؤون الثقافية.

العدد، بغداد ١٩٩٦، ص ٣٤ وما بعدها.

(١٦) توماس كارلايل: الابطال، ترجمة محمد السباعي، دار الرائد العربي، ط٤، بيروت ١٩٨٢.

وما بعدها.

هذه القوى مكنته من الأتيان بالخوارق في البسالة والقتال، فهذه الخوارق لا تقف عند نجاته من القتل فحسب، بل تمتد الى نجاتهم معه، نجاة تجعلهم يشعرون بالقوة، كونه هو الذي يهبهم الحياة، ومن اجل ذلك عبده^(١٧)، ايماناً بعظمته لانه يوفر حماية لاواعية ضد أي تهديد، بعده الصورة المكملة والموازية والمعوضة للسلطة فيظهر رمزاً وحاملاً للأمل الشعبي ومساعداً على تحقيق واعادة التوازن للذات الفردية المنجرحه، وهنا تظهر سعادة البطل من خلال تأمينه لسعادة قومه بنصرهم وحمائتهم والعطف عليهم، اذ يتحقق ذلك من خلال دورين متكاملين يقوم بهما البطل وهما:

- ١- دور يخدم ذاته، لكنه يشارك بعدئذ في عملية تنقيح وتطوير للكل، بعد ان تغلب على أعدائه.
- ٢- دور يظهر فيه البطل، كونه منقذاً لشعبه في أحلك المواقف، كونه يمتلك قدرات كاريزمية (Charismatique)^(١٨).

فالبطل هو ذلك الانسان الذي يدرك بإحساسه المرهف وذكائه الوقاد وعبقريته القدرة مطامح مجتمعة وأمانيه، كونه الذي يسعى لهذه المطامح ويكافح لتحقيق هذه الاماني، ولاسيما ان الاخرين يرون فيه ما كانوا يبحثون عنه وما يتوقون للحصول عليه، لانه ممثل اماني المجموع وطلبتهم في كفاحهم من اجل مثلهم العليا واهدافهم السامية، فمن الطبيعي ان ينبثق البطل من اعماق المجموع بعد أن يتمثل بأحاساسه المرهف وأدراكه العميق كل احساس المجتمع الذي هو فيه ويستوعب افكاره وحاجاته وآماله^(١٩). فضلاً عن ذلك فإن البطولة هناك من يفهمها على انها الجرأة أو الشجاعة والقيام بالاعمال الخارقة واجتياز العقبات، واذا قبلنا بهذا المفهوم للبطل فيترتب على ذلك ان نجرد معنى البطولة من المضمون الفكري، وان نجعلها مجرد شكل من أشكال السلوك الفردي، ولاسيما أن نظرة مثل هذه للبطولة لا يمكن قبولها مطلقاً اذ يتساوى فيها دعاء الرجعية، ودعاة التقدم، كون البطولة ليست نوعاً من السلوك فحسب أو صفة لاعمال جريئة يقوم بها هذا أو ذاك من الناس، بل أنها أعمق من ذلك بكثير، كونها فكرة وعملاً، بل اكثر من ذلك: (فكرة نبيلة وعمل جبار)، فهي بطولة ضد الشر، ضد

^(١٧) د. شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨، ص ٩ وقارن: سعد الطاهر الجارري، البطل عبر التاريخ، مجلة الثقافة العربية الليبية، العددان (٩٠٨) لسنة ١٩٨٨، ص ٧٣.

^(١٨) د. علي زيعور: الانا الاعلى في الذات العربية-البطل في التصوف والانتروبولوجيا والفنون والاحلام، مجلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية، العدد ٥، بغداد ١٩٨٠، ص ٢٨-٢٩ ويراجع: سعد الكاريزما، دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. أحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠، ص ٥٩-٦٠.

^(١٩) صلاح خالص: البطولة في الادب العربي بعد ظهور الاسلام، مجلة الفكر، طبع الشركة التونسية، العدد ٥، لسنة ١٩٥٩، ص ١٢.

الفساد، ضد الرذيلة، ضد الرجعية خاصة لأنها بطبيعتها تقدمية، لذلك فإن الركن الأول من أركانها، هو الايمان بالتطور، الايمان بضرورة تحقيق شيء جديد فيه الخير للمجتمع أو الايمان بمثل عليا تفيد الآخرين.

أما الركن الثاني: فهو العمل الدئوب الجريء الحكيم لتحقيق هذا الخير أو هذا المثل الأعلى والاستعداد للتضحية، فالتضحية هنا ليست ان يستعد الانسان للانتحار، وإنما ان يضحي بمصلحته الخاصة، في سبيل مصلحة المجموع^(٢٠) - لأن البطل لا يكون جريء الجنان مستعداً للتضحية الا اذا كان مؤمناً بعقيدة من العقائد أو بهدف من الاهداف لان الأمم العظيمة، فعلاً هي الأمم التي أستمدت عظمتها من عظمتها، ثم حققت درجة اعلى وارقي، وصورة اصفى وانقى، ورتبة اجدى وأوفى من العظمة بتعظيمها المتجدد الدائم للعظماء والشهداء والابطال من ابنائها البررة الامناء الاوفياء الشرفاء^(٢١)، فالبطل في أي مجتمع واي عصر أو دولة مطلوب لانه هو المنقذ له عندما تشتد الخطوب والازمات والاهوال لأنه يمسك بدفة السفينة* ليديرها ويقود المجتمع نحو الخلاص الذي ينشده. اذ نجد ان موضوع البطل والخصال (المزايا) التي يتمتع بها قد جعلت الفلاسفة عامة وفلاسفة التاريخ خاصة يضعونها له بموجب ما روي من تصرفات للبطل عبر التاريخ لما تركوه لنا في تراثهم، ولاسيما ما يخص الجانب السياسي التاريخي وهذا مانجده في مؤلفات الفلاسفة اليونانيين وخاصة عند افلاطون في "كتاب الجمهورية"^(٢٢)، فضلاً عما نجده عند فلاسفتنا المسلمين كالفيلسوف نصر الفارابي (ت ٩٥٠م) في "كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة"^(٢٣)، وابن رشد (ت ١١٩٨م) في "كتابه تلخيص السياسة"^(٢٤)، ولايبعد ذلك عن الموقف الفكري الحديث المتمثل بمكافيلي (ت ١٥٢٧م) وجان جاك روسو (ت ١٧٧٨م) وهذا (١٨٣١م)^(٢٥)، لذلك ان هذا الاهتمام بالبطل عند الفلاسفة لم يكن ليقوم لولا حضور

(٢٠) صلاح خالص: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢١) حازم طالب مشتاق: المنهج الفلسفي للرفض العربي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٧.

٩
* يشبه ابن رشد الرئيس البطل بربان السفينة الحاذق، ينظر ابن رشد: تلخيص السياسة، وتعليق على كتاب الجمهورية لافلاطون) نقله الى العربية د. حسن مجيد العبيدي، وفاطمة حميد ط ١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨، المقالة الثانية، ص ١٤٤.
(٢٢) افلاطون: الجمهورية، مصدر سابق، ك ٦، ص ١٧٨ ومابعدها اذ يتحدث عن صفات الرئيس للدولة وخصائصه.

(٢٣) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، حققه وقدم له البير نصري نادر، ط ١، بيروت ١٩٥٩.

ص ١٠٥-١٠٨.

(٢٤) ابن رشد، المصدر نفسه، المقالة الثانية، ص ١٤٤.

(٢٥) لمزيد من التفاصيل يراجع: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط ٤، القاهرة ١٩٦٦م.

الارمات الفكرية والسياسية والقيمية امامهم في العصر الذي عاشوا به ففكروا بالبديل المخلص لهم، فاستكشفوا بعقولهم النيرة مزايا هذا البطل المنقذ، ولهذا استمر الاهتمام بالبطل الرمز، والمنقذ في كتابات المفكرين والفلاسفة الى يومنا هذا، ولا يخلو أي فكر لاية أمة من ذكر البطل ومزاياه وكيفية اعداده وتربيته ليقود مجتمعه من بين صفوفه ويكون لهم المرشد والموجه (Luider)، وفي هذا فإن مفهوم البطولة يعد من العوامل الاساسية التي اعتمدها فلاسفة التاريخ بوصفها عوامل مؤثرة في حركة التاريخ وهذا شروع بطروحات كثيرة عند فلاسفة التاريخ في القرن التاسع عشر، ولاسيما أن الحديث عن اثر البطولة في حركة التاريخ يذكرنا بما جاء به هيجل في فلسفته المثالية شأن حركة التاريخ اذ نجد ان تاريخ العالم لم يكن الا عملية عقلية، وان روح العالم هي القوة الرائدة لتقدمه متخذة من العباقرة والابطال أدوات لها، فكل شعب يعلو نحو المجد فإنه يعبر بذلك عن جانب من جوانب الروح العامة^(٢٦)، فنواخب التاريخ لم يكونوا الا أدوات لتنفيذ رغبات تلك القوة وان توهموا فتصوروا بأنهم يحققون غايات شخصية ولهذا كان اعجاب هيجل واضحا وعظيما ببعض هؤلاء مثل نابليون (ت ١٨٢٨م) اذ أنه يمثل في نظره وسيلة لتحقيق غاية اعظم منه. وهنا نجد ان هيجل يؤطر هذا الرجل بأطار البطولة الذي يسعى الى تحديد مسار التاريخ بموجب أوامر الروح العلية^(٢٧). وفيما بعد جاء توماس كارلايل ليكتب لنا كتاباً بعنوان البطل والبطولة

(The Hero and Herosim) بقلم الابطال وافعالهم وقراراتهم التي تغير وجه التاريخ ومسيرته^(٢٨). ولم يخص كارلايل رجال السياسة وحدهم في رسم صورة البطل بل شملت البطولة عنده عدة صور كالالهة التي ظلت مدة معينة وكان موقفه رافضاً لها لما لحق بها من تفسيرات رجعية اقتترنت بجميع عوامل التخلف والانحطاط وكذلك اخذت صورة الانبياء والرسول وشفع ذلك بما جاء به الرسول الكريم محمد (ﷺ) في الدعوة الاسلامية وما قدمه من دور في هذه الرسالة وكذلك صور البطولة في هيئة الشاعر وجسد هذا الدور حسب رأي كارلايل كل من (دانتي وشكسبير) والصورة

(٢٦) Collins James. A history of Modern European philosophy the Bruce publishing company, 1954, p.610.

(٢٧) هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، ج ١، (العقل في التاريخ) ترجمة وتقديم وتعليق د. امام عبد الفتاح امام، مراجعة د. فؤاد زكريا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦، ص ١٠٣. وكذلك يراجع: د. علي حسين الجابري، فلسفة التاريخ بين هيجل ونيثشه في المصادر العربية، مجلة زكوة العلمية، الجزء (ب) للانسانيات، مطبعة الجامعة السليمانية، المجلد (٥)، العدد (٢)، بغداد ١٩٨٠، ص ٩٥. واحمد امين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ج ٢، القاهرة ١٩٣٦، ص ٣٧٧.

(٢٨) توماس كارلايل: الابطال، مصدر سابق، وفيه يرسم البطل عبر التاريخ ومتغيراته عبر محاضرات كارلايل في هذا الكتاب.

الأخرى التي قدمها كارلايل للبطل هي على هيئة قسيس متمثلة عند (لوثر ونوكس) ومن صور البطولة الأخرى صورة الكاتب أو الأديب وجسده كل من (جونسون وروسو وبارنز) أما الصورة الأخيرة للبطل فهي صورة الملك الذي جسده كل من (كرومويل و نابليون) ويتغنى كارلايل بهذا البطل كما عرضه بهذه الصورة بقوله: أنه فريد، رسول من قبل عالم الغيب للإنسانية للبشر، أما ما ينطق به من كلمات ليست لأحد غيره، كلمات نابغة من جوهر الحقائق فإنه يرى باطن كل شيء، أقواله نوع من الإلهام^(٢٩).

المحور الثاني-البطل صانع التاريخ:

وإذا ما غادرنا التحديد الاصطلاحي للمفهوم، وانطلقنا إلى ذكره في التاريخ نجد أن الاهتمام بالبطولة والابطال كان حالة دائمة ولاسيما بعد التحرر من عبث البطل، الذي عالجه كارلايل مع الأخذ بالحسبان تنوع وأسباب هذا الاهتمام المتخصص طبقاً لمدة تاريخية معينة.

فمن الملامح الواضحة بشأن هذا الموضوع نجد أن هنالك اهتماماً ملحوظاً بالابطال وأقوالهم وأفعالهم وصل إلى درجة التعظيم، وهذا نابغ من ارتباط مصر الشعوب في فترات الحروب بالظروف الصعبة التي تؤدي إلى الالتفاف حول البطل ولكن هنالك أسباباً أخرى تدعو إلى الاهتمام به خارج هذه الظروف^(٣٠) (واعني الحاجة الاجتماعية للبطولة، فمن الأسباب التي لا يمكن تجاهلها في هذا الموضوع عدم الاستغناء عن مفهوم الزعامة في تركيب الحياة الاجتماعية وفقاً لاي تطور اجتماعي على الرغم من اختلاف الرقابة عليها بين مجتمع وآخر، لكن الزعماء غير الرغم من أنهم لم يكونوا مجرد رموز مشهورة للدولة فحسب بل كانوا مسؤولين ومقررين، وبين المنجزات المتحققة في ظل زعامته سواء أكانت إيجابية أم سلبية) وثمة مصدراً آخر للاهتمام بالبطل يكشف عن الموقع الذي يحتله في التاريخ المرصود لمختلف الأمم، فقد مجد البطل في بعض الحضارات القديمة أباً للأمة كما هو العبرانيون في تمجيدهم لإبراهيم (عليه السلام) أبي الأنبياء والمولود في أور^(٣١). وإما الجماهير فأنها تؤمن به من قبل وصوله إلى الحكم وهذا إيمان نابغ من فرط اليأس الناجم من الحاجة الدائمة له ولا شك في أن للترابط الحاصل بين

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١ وما بعدها. وقارن: سدني هوك، البطل في ...، مصدر سابق، ص ١٠٠ بعدها.

(٣٠) توماس كارلايل، الأبطال، مصدر سابق، ص ٢-٥.

(٣١) محمد عياد شكري: البطل في الأدب والأساطير، ط ١، دار المعرفة، القاهرة ١٩٧١، ص ٣٩.

(٣٢) سدني هوك: البطل في التاريخ، مصدر سابق، ص ١٩.

الآرامات الاجتماعية أو السياسية وما بين تطلعات الناس الى من ينقذهم من اثار تلك
الغنية الأثر الواضح في زيادة الاهتمام بهذا البطل كونه منقذاً^(٣٣)، ومن العوامل
الأخرى التي تلقى بظلال الأهمية على البطل هو ان دوره ليس مجرد ظاهرة او
عضلة تاريخية بقدر ما يشكل واحدة من اعظم المسائل النظرية الجذابة في التحليل
التاريخي وهذا ما يقترب من قول كارلايل في كتابه "الابطال" بأن التاريخ العام، تاريخ
ما أنجزه الانسان في هذا العالم في أعماقه تاريخ رجال عاشوا وعملوا في هذا
العالم^(٣٤).

اذ يقدم الزعيم لاتباعه ما يطفئ نوازع حنينهم عن طريق ما ينسب إليه من
حقب ومآثر، وتشارك الجماهير بوجودها سلطة الزعيم وقوته بشكل يدخل.

أذن التاريخ الذي يصفه الابطال، ويحركونه نحو تحقيق غاياتهم وهذا ما نجده
عند الفارابي الذي يقدم لنا تصوراً حول ذلك اذ اعدّ (رئيس الدولة) وسلطته العامل
الأهم في حركة التاريخ (إيجابياً وسلباً)، فمتى قام الحكم على (الحكمة) و(العدالة) كان
رئيس الدولة قادراً على أدراك موازين الاعتدال في القول والعمل فيصلح بصلاحه
الناس وتتوفر لهم ظروف العيش في مدينة سعيدة (فاضلة) لاتنقطع عن اشراقات
الماضي، وتتجاوز عقبات الحاضر الذي افتقر لشروطها بحثاً عن حل مستقبلي^(٣٥)،
ويرى د. الجابري أن الفارابي قدم مشروعه الاصلاحى الشامل رأي (فيلسوف التاريخ)
لا المؤرخ فقد ربط المجتمع بالعقيدة، والفكر بروح الاجتماع، والرئيس بحاجات الأمة
التي لاتعالج الا بحكمة قرارات المسؤولين وضمن شروط تاريخية لايمكن اغفالها،
وتطلقاً من قوة الفكر أي الحكمة جعل الفارابي الدور الايجابي للدولة ورئاستها
شروطاً (بالحكمة) الواقعية ويسميها بالفضيلة الفكرية^(٣٦).

والرئاسة عند الفارابي ذات ميزة خاصة تتميز بها المدن الفاضلة عن غيرها اذ
ان المدن الجاهلية لامراتب فيها ولانظام، لذلك فالمدينة الفاضلة تحتاج الى تدبير
وتظيم والى معلم يوجه الناس نحو الرأي الصائب، ولايمكن للمدينة ان تكون صالحة
عادلة اذا لم تخضع لقيادة، لذلك فالرئاسة أمر ضروري عند الفارابي بل أنها شرط

(٣٣) د. علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ بين هيجل و...، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٣٤) توماس كارلايل: الابطال، المصدر نفسه، ص ١-٥٢.

(٣٥) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضل، مصدر سابق، ص ٦٨ وأيضاً: د. علي حسين الجابري:
فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر، القسم الاول، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣،

ص ١٠٩.

(٣٦) د. الجابري: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

لازم سابق حتى على وجود المدينة ذاتها (فرييس المدينة ينبغي ان يكون هو اولادها يكون هو السبب في ان تحصل المدينة واجزاؤها)^(٣٧).

ولاسيما ان المدينة الفاضلة موجودة في دماغ رئيسها قبل ان توجد وقتها اجتماعياً، فهي برنامج وتخطيط، وليست نظاماً اجتماعية كون الملك-الفيلسوف وحده القادر على ضمان سعادة كاملة للمدينة.

اذن فالتاريخ هو من صنع الأفراد، كون الافراد هم الذين يؤثرون في الشعب أو المجتمعات وان الابطال هم الذين يدفعون ويرفعون شعوبهم من الانحطاط الى الازدهار وصدارة الاحداث، وقد عبر توماس كارلايل في حماسة شديدة عن دور الابطال في التاريخ اذ يقول (أن التاريخ العالمي- تاريخ ما أنجزه الانسان في العظماء، انما هو في صميمه تاريخ العظماء وما أنجزوه، وكل ما تم انجازه في العالم تمامه الحصيله المادية الخارجية والتحقيق العملي والتجسيد الحي لافكار عاشت في عظماء، عاشوا في هذا العالم)^(٣٨)، ويحلل كارلايل عناصر العظمة فيرجعها الى ثلاثة اسباب وهي:

١- الايمان بأن البطل قد اختاره الله.

٢- الايمان بالجبرية التي يعبر عنها البطل برسالته.

٣- ان يتحلى البطل بالشجاعة.^(٣٩)

ولهذا نلاحظ ان التاريخ في نظر كارلايل مسيرة للابطال والعظماء، وسخر منقبي لاعمالهم الاسطورية التي تشكل مادة ثرية لهواة كتاب السير والتراجم، ويعد كارلايل انه بغير العظماء ليس ثمة تاريخ فالفضل كل الفضل يعزى الى ابطال من نوع خاص كي يجعلوا للبشرية معنى ودونهم ليس الا الفوضى^(٤٠) ذلك ان العظمة هي المقوم الاساسي للشخصية التاريخية ولاسيما ان الرجل التاريخي هو الرجل الذي توصل بفضل التلاحم العضوي المصيري بين حياته الشخصية وحركة التاريخ، جعل التاريخ مطبوعاً بطابع عبقريته، كون ان حياة الرجال العظام في التاريخ، حياة كفاح وعناء، اكثر مما هي حياة رغد وهناء، ومن هذا نستنتج ان الشخصية التاريخية هي:

(٣٧) الفارابي، آراء أهل ...، المصدر نفسه، ص ١٢٠ وقارن: عبد السلام بنعبد العالي،

السياسية عند الفارابي، ط ٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١، ص ٨٥-٨٦.

(٣٨) توماس كارلايل: الابطال مصدر سابق، ص ١٠ وما بعدها وقارن: د. احمد محمود صبحي،

فلسفة التاريخ، مؤسسة خليفة للطباعة، مصر ١٩٧٥، ص ٦٣-٦٤.

(٣٩) د. احمد محمود صبحي: المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٤٠) عالية احمد سوسة ود. هاشم صالح التكريتي: بحوث مهرجان المؤرخ توينبي، دار الحرية

للطباعة، بغداد ١٩٧٩، ص ٢٩.

- ١- طاقة فردية مبدعة تحتاج الى رعاية وتشجيع حتى تظهر وتتمو.
- ٢- تحتاج الى مساندة ودعم حتى تبلغ اقصى إمكاناتها.
- ٣- تحتاج الى تفاعل نقدي متعدد الجوانب حتى يتحول عطاؤها الى غذاء ونور، كون العظمة قيمة تاريخية هائلة، والرجال العظام قوة وثروة^(٤١)، فضلا عن ذلك نجد ان التاريخ لايفعل شيئاً كونه لايمتلك الثورة الهائلة ولايخوض المعارك، بينما الانسان، الانسان الحي هو الذي يفعل كل شيء وهو الذي يملك ويقاقل، فالتاريخ هو سيرة حياة الرجال العظام^(٤٢).

المحور الثالث: سمات البطل وخصاله:

بدءاً احب ان اذكر هنا أن لفظة (خصال) هي لفظة عربية ، وجدت في تراث الفيلسوف العربي الفارابي اذ ذكرها في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" بعنوان: (القول في خصال رئيس المدينة الفاضلة)^(٤٣) ويعني هنا رئيس المدينة أو الدولة الذي هو البطل الرئيس^(٤٤).

وعليه سنعرض الخصال التي يتمتع بها البطل، علماً أن هذه الخصال تضم في حورتها قوة العقل والنفس وقوة الجسم وهو ما أشار إليه الفلاسفة (افلاطون والفارابي وابن رشد) اذ يجمع هذا الاخير كل هذه الصفات في واحد، أي ان البطل عنده هو البطل الذي له قوة الجسم وقوة قدرة التفكير وان كانت هذه الخصال التي يضعها له شقاً من الفارابي في كتابه (المدينة الفاضلة)^(٤٥)، وهنا نلاحظ ان العلاقة جدلية عند ابن رشد فهي مترابطة في هذه المسألة، اذ نجده يقول: (يجب ان يكون الرئيس البطل يتك هاتين الخصلتين: أي القدرة على الجهاد والقدرة على الاجتهاد)^(٤٦)، فهذه الصفة، صفة الجهاد لاتتأتى الا لمن هو صحيح البنية الجسمية وهو المطلوب في البطل فضلاً عن قدراته الفكرية العالية المتمثلة بالاجتهاد والحكمة العميقة، وهنا نلاحظ تشديد ابن رشد على ذلك انما هو نابع مما ذكره فقهاء السياسة والدولة في التراث الاسلامي من

^(٤١) د. ناصيف نصار: الفلسفة في معركة الايديولوجية، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٨٣ وما بعدها.

^(٤٢) أدواردكار: ماهو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، ط١، بيروت ١٩٧٦، ص ٤٣.

^(٤٣) الفارابي: آراء أهل المدينة ...، مصدر سابق، ص ١٠٥ - ١٠٨ وقارن: السياسة المدنية، تحقيق د. فوزي متري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٤، ص ٧٨.

^(٤٤) د. علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر ...، مصدر سابق، ص ١٠٨.

^(٤٥) الفارابي: آراء أهل ...، المصدر نفسه، ص ١٠٥ وما بعدها وايضاً : د. حسن مجيد العبيدي، صور الفارابي في الخطاب السياسي لابن رشد، مجلة دراسات قومية واشتراكية العدد ٢، بغداد ٢٠٠٠، ص ٩٨-١١٠.

^(٤٦) ابن رشد: تلخيص السياسة، مصدر سابق، ص ١٧٧-١٧٨.

السابقين عليه^(٤٧). كما تبين فإنه من الضروري أن نهتم في الخصال التي يجب أن يمتلكها البطل والتي هي الخصال الطبيعية في الملك الرئيس^(٤٨) وسنعمد على فكر خصال الرئيس البطل كما حددها ابن رشد إذ جمع هذا الفيلسوف هذه الخصال كما وردت عن افلاطون والفارابي مضيفاً إليها رأيه، حول البطل وأولى هذه الخصال واجدتها هي:

أولاً: ان هذه الخصلة يعدها ابن رشد اجدر الخصال للبطل الرئيس وهو أن يكون محباً بفطرته لدراسة الحكمة من أجل الوصول الى ادراك الحقيقة كاملة^(٤٩).

ثانياً: كما يتمتع البطل الرئيس عند ابن رشد بصفة "أن يكون جيد الحفظ ولا يتغير النسيان لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه"^(٥٠).

ثالثاً: ولأن العلم هو عملية الغوص على الشيء لمعرفة مكوناته واسراره فإن ابن رشد يرى ان الرئيس البطل يجب ان يتمتع بصفة حب العلم وتحصيل العلوم في انواعها وفروعها^(٥١).

(٤٧) على سبيل المثال لا الحصر كتاب الماوردي: الاحكام السلطانية، طبعه الحلبي، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣ وما بعدها.

(٤٨) ان (ملك) ابن رشد متطابق مع (الرئيس الاول) عند الفارابي، وان كل الخصال التي يضعها ابن رشد له مأخوذة من الفارابي في كتابه المدينة الفاضلة، ص ١٠٥ وما بعدها. حتى من دون كلمة بأية صورة وكذلك نجد ان ابن رشد ايضاً يتابع افلاطون في ذلك عند تلخيصه للجمهورية وتعليقها عليها.

(٤٩) ابن رشد: تلخيص السياسة، مصدر سابق، ص ١٤٠ ويقارن: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة (مصدر سابق)، ص ١٢٧، "ان يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له يفهمه على ما يقصده القائل وعلى حب الامر نفسه" ويقارن: افلاطون، الجمهورية، مصدر سابق، ك ٦ (٤٨٥)، ص ١٤٦، ويقارن: رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، ج ٤، (د. ط)، دار صادر بيروت ١٩٥٧، ص ١٢٩، ويقارن: ابن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، ضمن كتاب السياسة عند ابن ابي الربيع، تحقيق د. ناجي التكريتي ط ٢، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٩٤-٩٣، "ان يكون له القدرة على جودة التخيل... وان يكون جيد الفهم والتصور... يقال له... ويقارن ايضاً: ابن سينا، رسالة في الاخلاق السياسية، ط ٢، (ضمن مقالات فلسفية) تحرير لويس سيخو و(آخرون) المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١١، ص ١٥٣.

(٥٠) ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر نفسه، ص ١٤٠، ويقارن: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، المصدر نفسه، ص ١٢٧ "ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه وفي الجملة لا يكاد ينساه" ويقارن: افلاطون، الجمهورية، المصدر نفسه، ك ٦ (٤٨٦)، ص ١٤٧، كذلك ابن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، المصدر نفسه "ان يكون جيد الحفظ ولما يراه ولما يسمعه ولا ينسى ما يدركه من العلم".

(٥١) ابن رشد، تلخيص السياسة، المصدر السابق، ص ١٤٠، ويقارن: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، المصدر السابق، ص ١٢٨ "ان يكون محباً للتعليم والاستفادة منقاد له سهل القبول في تعليمه وتعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه" ويقارن: افلاطون، الجمهورية، المصدر نفسه، ص ١٤٧.

رابعاً: ويشدد ابن رشد على واحدة من أهم الخصال التي يتمتع بها الرئيس البطل وهي خصلة حب الصدق واهله وكراهية الكذب واهله "لان الذي يحب الصدق يحب الحق والذي يحب الحق لا يكذب ورجل هذه خصاله لن يكذب ابداً"^(٥٢).

خامساً: ويشدد ابن رشد ايضاً ان يكون البطل الرئيس مبعوضاً للذات معرضاً عنها، فشخص تسعى رغباته الى العلم لا يسعى الا الى اللذة التي تتمتع بها النفس وحدها ذلك ان البطل لو كان يسعى الى طلب اللذة والانغماس فيها فإنه لن يحظى باي احترام وقبول لمن هم من معيته بل وتتحول السمة الاخلاقية التي قلنا عنها الشجاعة والعفة التي هي من خصاله وهذا لا يناسب البطل^(٥٣).

سادساً: ويرى ابن رشد ايضاً ان يكون البطل الرئيس غير محب للمال لان المال هو غاية كل رغبة وحال كهذه لاتلائم هؤلاء الرجال. لان المال مفسدة بطبعه لمن يرغب بجمعه والاكثار منه بل هو أصل التحاسد والتباغض بين الناس فكيف اذا كان البطل يميل الى جمعه وهو امر يرفضه ابن رشد رفضاً قاطعاً لارتباط المال بالاخلاق والقيم الخلقية في المجتمع ولان به تشتري الذمم والنفوس لان بطل ابن رشد يجب ان يكون عظيماً عبقرياً كبيراً في كل شيء^(٥٤).

(٤٧٥)، ص ١٣٦، ايضاً ك٦ (٤٨٥)، ص ١٤٦، كذلك يقارن: اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا واخلان الوفاء، المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٩. ويقارن: ابن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، المصدر السابق، ص ٩٤ "ان يكون محباً للتعليم والاستفادة منقاد سهل القبول لا يؤلمه تعب تعلم".

ابن رشد، تلخيص السياسة، المصدر نفسه، ص ١٤٠، يقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، المصدر نفسه، ص ١٢٨ "ان يكون محباً للصدق واهله مبعوضاً للكذب واهله، ويقارن: افلاطون، الجمهورية، المصدر نفسه، ك٦ (٤٨٥)، ص ١٤٦.

ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر نفسه، ص ١٤٠، ويقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، المصدر نفسه، ص ١٢٨ "متجنباً للعب مبعوضاً للذات الكائنة هذه"، ويقارن: افلاطون، الجمهورية، المصدر نفسه، ك٦ (٤٨٥)، ص ١٤٦، وفي هذه الصفة يذهب ابن رشد الى افلاطون حيناً عليه إذ يقول: "فمنى تحول التيار نحو العلم بكل فروع حامت رغبات المرء حول الذات العفة هاجرة الذات التي محورها الجسد، وهذا اذا كانت محبة للحكمة حقيقية لا مصطنعة" ويقارن: ابن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، المصدر نفسه، ص ٩٤ "مبعوضاً لما ساءت عاقبته".

ابن رشد، تلخيص السياسة، المصدر السابق، ص ١٤١، ويقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، المصدر السابق، ص ١٢٨ "ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هيبية عنده"، ويقارن: افلاطون، الجمهورية، المصدر نفسه، ك٦ (٤٨٥)، ص ١٤٦، ويقارن: اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا واخلان الوفاء، المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٠ "ان يكون الدرهم والدينار

سابعاً: ويؤكد ابن رشد ان يكون البطل الرئيس كبير النفس^(٥٥). لان الرجل الذي يفتقر معرفة كل شيء. ولم يرد من هذه المعرفة نفعاً أو غرضاً هو كبير النفس بالطبع، ولهذا فإن نفسه الناطقة لا ترى بادئ الرأي في هذه الحياة الدنيا شيئاً يحسب له.

ثامناً: يركز ابن رشد على واحدة من الخصال التي يجب أن تتوافر في البطل الرئيس الا وهي خصلة الشجاعة، بقوله: "ان يكون شجاعاً، لا يصرفه عن الحق خوف أو يثني عزيمته مرض أو لذة أو اكراه"^(٥٦).

فالشجاعة مطلوبة في البطل لان من لم يكن شجاعاً لم يستطع أن يحرز خصمه وعدوه ولم يستطع ان يقود اهل دولته نحو كل ما هو خير، لان الشجاعة هي فضيلة خلقية تتوسط كما يقول ابن رشد بين التهور والجبن وأن الأمسك بباها امسك باهم خصلة جسمية وفكرية وعقلية لاي انسان، ولهذا يشدد ابن رشد كثيراً على مسألة الشجاعة ويربطها بنقيضتها اللذة وغيرها من الصفات المرذولة كما أشرنا الى ذلك آنفاً.

تاسعاً: ان يقبل على ما يراه خيراً بملء عزيمته، مثل العدل وسائر الفضائل الاخرى^(٥٧). وفي هذا الصدد نلاحظ ان مسألة تحقيق العدالة للمجتمع والرفق امر واجب ومحتم على البطل، وامر كهذا يعد مركزياً لسمات البطل وخصاله

(٥٥) ابن رشد: تلخيص السياسة، ص ١٤١، ويقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، ص ١٣٨ "ان يكون كبير النفس محباً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين الأمور، وتسمو نفسه بنفسه الى الارتفاع منها" ويقارن: افلاطون، الجمهورية، ك٦، (٤٨٦)، ص ١٤٦، ويقارن: اخوان الصفا رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٣٠، "ان يكون كبير النفس عالي الهمة للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين من الامور ويشع وتسمو همة نفسه الى ارتفاع الامور واعلاها درجة.

(٥٦) ابن رشد: تلخيص السياسة، ص ١٤١، ويقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، ص ١٣٨ "ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي ان يفعل، جسوراً عليه مقدماً غير خائف ولا ضعيف النفس"، ويقارن: افلاطون، الجمهورية، ك٦، (٤٨٦)، ص ١٤٧، ويقارن: اخوان الصفا رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٣٠ "ان يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي ان يفعل، جسوراً مقدماً غير خائف ولا ضعيف النفس"، ايضاً يقارن: ابن ابي الربيع سلوك الممالك وتدبير الممالك، ص ٩٤ "ان يكون قوي العزيمة على ما ينبغي غير خائف من الموت ولا ضعيف النفس".

(٥٧) ابن رشد، تلخيص السياسة، ص ١٤١، ويقارن: الفارابي آراء اهل المدينة الفاضلة، ص ١٣٨ "ان يكون بالطبع محباً للعدالة وأهله ومبغضاً للجوار والظلم وأهلها... ويؤتي من حل به لغيره موائماً لكل ما يراه حسناً وجميلاً، ثم ان يكون عدلاً غير صعب القيادة..." ويقارن: افلاطون الجمهورية، ك٦، (٤٧٩)، ص ١٤١، وايضاً ص ١٤٧، ويقارن: ابن ابي الربيع، سلوك الممالك وتدبير الممالك، ص ٩٤، "ان يكون محباً للعدل والصدق وأهلها مبغضاً للجوار والكذب وأهلها من نفسه"، ويقارن ابن سينا، رسالة في الاخلاق، ص ١٥٣.

ولهذا لانجد بطلاً عظيماً يولد في رحم أمة، ان لم يكن شعاره تحقيق العدالة لاهل دولته، وابن رشد يرى أن مسألة تحقيق العدالة والعدل ترتبط بالحكمة والعلم. وهي الخصلة الاولى من خصال البطل التي ذكرها ابن رشد.
عشراً: ان يكون بليغاً حسن العبارة جيد الفطنة، قادراً على اقتناص الحد الاوسط بأيسر ما يمكنه ذلك^(٥٨). هذه هي الخصال^(٥٩) الواجب توفرها في البطل.
كما يضيف ابن رشد صفة اخرى الى صفات البطل الرئيس وهي ان تتوفر فيه الخصال الجسمانية والعقلية وهي قوة النفس والجسد^(٦٠).

المحور الرابع: اعداد البطل وتنشئته عند الفلاسفة

يقول افلاطون انه من الممكن ان يقوم دستور^(٦١)، بشرط ان يكون الملك^(٦٢)، هو الفيلسوف الذي اشرنا إليه في المحور السابق الا أنه في خصاله هو البطل المنقذ، ذاته هو الذي يضع الدستور ويحافظ عليه فيما بعد، ولهذا فإن الفلاسفة (افلاطون، والقرابي، وعلى الاخص ابن رشد) قد بدأوا اولاً بالحديث عن طبيعة هؤلاء الابطال ونوع التعليم الذي يحصلون عليه، ولكن قبل الحديث عن كيفية إعداد البطل الرئيس كما يراه الفلاسفة الذي اشرنا إليهم، لابد أولاً من ذكر كيف نظر هؤلاء الى المجتمع الانساني وفتاته (شرائحه)، وكيف يظهر من بينها البطل الرئيس اذ يقوم المجتمع

ابن رشد، تلخيص السياسة، ص ١٤١، ويقارن: الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٧، "ان يكون حسن العبارة يواتيه اللسان على آياته كل ما يضره ابانة تامة"، ويقارن: اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، ج ٤، ص ١٢٩، "ان يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ما في قلبه وضميره بأوجز الألفاظ"، ويقارن ابن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، ص ٩٤ "ان يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على ابانة جميع ما في ضميره".
تلاحظ ان هذه الشروط عند الفارابي (خصال) وعند اخوان الصفا هي (اكتمال لوضع الشريعة) يتجدها عند ابن ابي الربيع بمثابة (فضائل).

ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر السابق، ص ١٤٢.

افلاطون: الجمهورية، ك ٥، (٤٧٤ ج)، ص ١٣٦.

ان لفظة (ملك) لم ترد عند افلاطون في الجمهورية بل هي لفظة ذكرها كثيراً الفارابي في وقتها، انظر: حيدر آباد، تحصيل السعادة، نشرة (الهند) لسنة ١٣٤٥ هـ، ص ٤٢ اذ يقول (واسم الملك يدل على التسلط والاقتدار، والاقتدار التام هو ان يكون اعظم الاقتدارات قوة... ولذلك صار الملك على الاطلاق هو الفيلسوف واضع النواميس)-(والناموس) لغة معناه صاحب السر المطمع على باطن الأمر، انظر: مادة (نمس)، مختار الصحاح، ص ٦٨٠ وسوف نستعمل هنا مقابلاً لللفظة (نمس)، لفظة (دستور) الا انها تختلف عنها بعض الشيء، فالدستور: هو القاعدة التي يعمل بها أو السجل الذي تجمع فيه قوانين الملك، وان سبب اختيارنا لفظة (دستور) بدلا من (ناموس) هو ان لفظة (ناموس) تدل على معنى رسالي سماوي، أما لفظة (دستور) لغوياً فتعني قانوناً وضعياً يضعه الملك أو الرئيس لقيادة الدولة وهو "مجموع القوانين الاساسية التي تبني شكل الدولة ونظام الحكم وتحدد العلاقات بينها وبين الافراد..". يراجع: ابن رشد، المصدر نفسه، ص ١٣٧ مع وظيفتها.

الانساني عندهم، مجتمعاً كاملاً من خلال سد الحاجات الاساسية له وذلك بتعاون وتعاون افراد المجتمع فيما بينهم إذ إن كل واحد منهم يعمل بحرفة ومهنة تساعد على قيام هذا المجتمع، ولهذا فإن الانسان كائن مدني بالطبع^(١٣).
والمجتمع عند هؤلاء الفلاسفة يتألف من ثلاث شرائح أو طبقات، هي طبقة الحرفيين من العمال والفلاحين والصناع وطبقة الحراس من الجنود وطبقة الحكام أو القادة أو الرؤساء.

ان هذه الطبقات عند هؤلاء الفلاسفة لها منظور ووسائل وأليات تربوية سواء ما يخص تنمية المدارك العقلية أو تنمية القوى الجسمية وان كانت كلها تشترك في انه ينبغي ان تتعلم الرياضة لتقوية الجسد، والموسيقى لتهديب النفس، الا أنه فيما يخص هؤلاء الفلاسفة لكل شريحة أو طبقة نمطاً تربوياً خاصاً بها وبما أن هذا خاص عن كيفية اعداد البطل الرئيس الذي يولد من رحم هذا المجتمع فأنا سنشير الى هذه العملية في الاعداد له وان كانت متداخلة مع الشرائح الاخرى.

ولهذا نجد ان معظم الفلاسفة يضعون هدفاً يسعون اليه من خلال بعض ودراساتهم لمجمل القضايا الفلسفية وخاصة ما يتعلق بعصرهم وبيئتهم وان تحقق يسعون اليه لابد من ان يتم عبر مدة ومراحل تدريجية كما من شأنه الوصول الى ذلك الحال فيما يتعلق بالتربية في الدولة عند ابن رشد مثلاً وغيره من فلاسفة المسلمين اذ يرون أن قيام الدولة ونظامها السياسي والاجتماعي والاخلاقي لا يمكن ان يحقق الهدف والنتائج الايجابية الا بوضع نظام تعليمي وتربوي وتدريبية بطبيعية البيئة الموجودة والعصر الذي يظهر فيه البطل^(١٤)، ولهذا عدّ هؤلاء الفلاسفة التربية شرطاً اولياً اساسياً لقيام المدينة او الدولة. فقد وضع هؤلاء الفلاسفة يرتب مفصلاً في التربية لأفراد الدولة الذي يسعون من خلاله الى تحقيق السعادة والحرف الأسمى وأرساء دعائم واسس متينة تقوم عليها الدولة ويلاحظ ان الفلاسفة العرب المسلمين اكثر من غيرهم قد وضعوا واهتموا بالتفاصيل في هذا الجانب الذي يحس اساساً وشرطاً رئيساً في انجاح الاهداف التي رسموها لاجاد مجتمع فاضل.

وكما ذكرنا ان هؤلاء الفلاسفة يؤكدون أن افراد الدولة يجب ان يتقوا تربية خاصة قائمة على قواعد رصينة ومنتينة وقد أسهب هؤلاء الفلاسفة في الحديث عن فلها نراهم يؤكدون ان غرس الفضائل التربوية وأجتثاث الرذائل انما يتم بطرق

(١٣) افلاطون: الجمهورية، ك١، مصدر سابق، وايضاً: ارسطو، السياسيات، (د.ط.)، نقله من اليوناني الى العربية الاب اوغسطينيس بربارة، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية، ١٩٥٧، المقالة الاولى، والفارابي: آراء أهل المدينة...، مصدر سابق، ص ١١٠-١١٦. وابن رشد: تلخيص السياسة، مصدر سابق ص ٦٨.
(١٤) ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

الأولى: يسميها (غرس الاقناع في نفوسهم من خلال الاقاويل الخطابية والشعرية وهذا جزء من العلوم النظرية التأملية الخاصة بخطاب الجمهور)^(١٥).

أما الطريقة الثانية: في نظر هؤلاء الفلاسفة (افلاطون، وارسطو ٣٢٢ ق.م، والفارابي، وابن رشد)^(١٦) فيسمونها بطريقة (القسر والاكراه) وهذه تلجأ اليها اذا لم نستطيع ان نقيم الطريقة الاولى، ونستعمل طريق (القسر) خاصة مع الخصوم والاعداء. أما الخاصة من الناس وهم الفلاسفة الحكام، فإن الطريقة التربوية الخاصة بهم هي تعليمهم الفضائل والعلوم النظرية التأملية وهو المنهج الصحيح لان هؤلاء معنون لقيادة الدولة ويجب ان يتصفوا بهذه الصفات.

أما بقية فئات المجتمع، ولاسيما الجمهور من الناس عامة فإن الطريقة الملائمة لهم تسمى بالخطابية أو الشعرية لانها تعتمد على الانفعالات والخيالات لعدم قدرة الجمهور من الناس على بلوغ البرهان الفلسفي الذي هو خاصية من خواص التأمل الفلسفي.

ويستمر هؤلاء الفلاسفة مؤكدين ان تعليم الفضائل وغرسها في نفوس اهل الدولة تتم بطريقتين الاولى: الرياضة والثانية: الموسيقى، فنراه يقولون (اما الرياضة فهي اكتساب الفضيلة الصحيحة للجسم واما الموسيقى فأنما هي لتتهذيب النفس وتمكينها من اكتساب الفضيلة الخلقية)^(١٧).

ويرى هؤلاء الفلاسفة (افلاطون، والفارابي، وابن رشد)^(١٨) انه يجب ان يكون هناك توازن بين الموسيقى والرياضة فهم يرون ان زيادة جانب الموسيقى على الرياضة يؤدي الى أن يتحول الرجل الى خنثى واذا زاد جانب الرياضة على الموسيقى يتحول الرجل الى وحشي. ويستمر هؤلاء الفلاسفة على ذكر طرق التربية وخطواتها الصغار في الدولة فهم يرون أن الشيء الأكثر ضرراً على الصغار في الدولة يسمعون في صغرهم الحكايات الوهمية الكاذبة والاشعار المليئة بالفحش والالفاظ البذيئة التي تدعو الى الابتعاد عن الفضائل ونص ما يقوله ابن رشد مثلاً: "يجب ان نجنبهم تعويد أنفسهم وتوجيهها عن الحكايات الوهمية، بل ويجب أن نحصنهم ضدها، ونكون حذرين من ان تسبب الأذى في اجسامهم من الخوف والقشعريرة، والامر كذلك يقال عليهم

(١٥) ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر السابق، ص ٧٥ مع حواشيتها.

(١٦) افلاطون: الجمهورية، ك ٢، المصدر السابق. وارسطو، السياسيات، المصدر السابق، المقالة الاولى. والفارابي، آراء اهل المدينة، المصدر السابق، ص ١١٦. وابن رشد، المصدر نفسه، والصفحة نفسها مع حواشيتها.

(١٧) افلاطون: الجمهورية، ك ٢، المصدر نفسه، إذ يؤكد بدقة على أهمية التوازن بين الرياضة والموسيقى لخلق تناغم في نفس الانسان في المدينة الفاضلة.

(١٨) افلاطون: الجمهورية، ك ٢، والفارابي: آراء اهل المدينة، مصدر السابق، ص ١١٠-١١٦. وابن رشد، تلخيص السياسة، المصدر السابق، المقالة الاولى، ص ٨١ وما بعدها.

عندما نسلمهم الى مرضعات يرضعهم وهم مايزالون حديثي الولادة فيعلمهم ايضاً هذه الحكايات الواهية^(٦٩).

اما الشعر فأن هؤلاء الفلاسفة يرون أن على اهل الدولة ان لا يستعملوا الاشعار المليئة بالفحش والألفاظ البذيئة التي تدعو الى الأبتعاد عن الفضائل وان هذه نصاً يقوله ابن رشد: "ان من الواجب عدم السماح للشعراء في المدينة بمحاكاة الآتيه الدنيئة أو التي ليس لها تأثير في قبول أو رفض أي شيء ، كما هو شأن القصص العربية المليئة بالألفاظ السيئة والتي تذكر النساء والتشبهت بهن والتي وجودها في هذه المدينة غير ضروري"^(٧٠).

وبعد ان بينا كيف وضع هؤلاء الفلاسفة برنامجاً تربوياً لكل افراد الدولة من بداية حياتهم ولشرائحهم كافة، نرى مثلاً أن ابن رشد يعود ايضاً للحديث عن كيفية أدراك طبائع أولئك الميالين نحو التفلسف ونوعية التعليم الواجب لهم، وكيفية ان يكونوا فاضلين في الدولة والذين هم ابطال-حكام لها.

ولهذا يرى ابن رشد هنا أن الصحيح هو أن نقودهم خطوة - خطوة أي من خلال نظام تعليمي يتدرج به الشخص للنظر في الاشياء، ثم بعد ذلك يستطيع أن يرى بصره ليرى النجوم ثم القمر الى ان يصل الى رؤية الشمس^(٧١).

لقد وضع هؤلاء الفلاسفة (افلاطون، والفارابي، وابن رشد)^(٧٢) برنامجاً تربوياً تعليمياً لهذه الطبقة وتوجيههم اليه عبر خطوات تدريجية الى ما هو أسهل وملائم لهم^(٧٣).

فعندما يتم بلوغهم سن الستة عشر عاماً أو السبعة عشر من عمرهم ففي هذه السن يجب إزالة الرغبات الشهوية منهم، ثم بعد هذه السن يتم ممارسة ركوب الخيل حتى يصلوا الى بلوغ سن العشرين بعد أن يتم ذلك كله يتم تهيئتهم لدراسة الفلسفة، مع تأكيدهم أنه لا يمكن تعليمهم الفلسفة قبل هذا السن. ولاسيما ان مداركهم العقلية غير مستقرة وخاصة ان أستنتاجاتهم وأحكامهم ونظرتهم للأمور ناقصة غير صحيحة^(٧٤). ويتم ايضاً توضيح الحكايات المزيفة لهم التي تربوا عليها^(٧٥) وتلقوها في طفولتهم وعند تلقينهم علوم الفلسفة سيتضح لهم الأمر بحقيقة تلك الحكايات ومن ثم يقبلوها بل يقوموا بهدمها وألغائها بجرأة.

(٦٩) ابن رشد: المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٧١) ابن رشد : تلخيص السياسة، المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٧٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٧٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وان ابن رشد مثلاً قد شبه هذه المسألة: بالذي يتربى في اسرة مدة طويلة معتقداً انهم أهله وحين يبلغ سن المراهقة يكتشف أنه لاينتمي لهذه الاسرة، وهنا يتلاشى كل احترام وتقدير لهؤلاء ساخراً منهم، وهذه الحالة مثلما يتعلم الحكام صناعة الجدل^(٧٦) قبل هذه السن الناضج، وهذا الأمر هو سبب اندفاعهم وحماسهم وتهديم كل رأي يتجادلون حوله.

ان هذا الامر يحدث في الاغلب لهؤلاء الذين يشغلون أنفسهم بالتفلسف على هذا النحو في هذه المدن، وهذا الشيء هو الأكثر أذى لهم^(٧٧).

ولهذا لا بد أن يصل الى مرحلة النضج والأتران العقلي حتى يتمكن من أدراك جوهر الأشياء ، وبعد ذلك عليهم الاستمرار في دراسة الفلسفة الى ان يصلوا الى مرحلة سن الثلاثين، حتى يستكملوا جميع اجزائها وعندما يتم لهم ذلك أي عند بلوغ سن الخامسة والثلاثين توكل لهم مهمة قيادة الجيش ، ويبقون في هذه الوظيفة مدة خمس عشرة سنة، وحينما يصلون الى سن الخمسين يصبحون بعد هذه السن أكثر حارة وكفاءة بقيادة الحكم وادارته في هذه الدول^(٧٨).

واخيراً فإن هؤلاء الفلاسفة (افلاطون، وارسطو، والفارابي، وابن رشد)^(٧٩) عيون أن الدول تكون صالحة، عندما يكون بطلها أو رئيسها فيلسوفاً.
الخاتمة وأهم الاستنتاجات :

من خلال سير البحث، توصل الباحث إلى جملة من النتائج الرئيسية والتي تعد حتمية خاتمة لهذا البحث وهي:

١. إن موضوع البطل شكل أهتماماً رئيساً في عقل الإنسان عبر التاريخ، وشغل هذا الموضوع مسيرة الإنسان الطويلة ولازال كذلك لكون موضوع البطل المنقذ المخلص الملهم، هو الذي يعول عليه في اللحظات التاريخية الحاسمة في مسيرة الإنسان.
٢. إن الحضارات الإنسانية عامة، فضلاً عن الفلسفات التي تمثلها بحثت في البطل، ماهية ومفهوماً وسلوكاً وتطبيقاً، ولهذا لا نجد حضارة إنسانية مديدة وعميقة إلا وشغل موضوع البطل المنقذ المخلص الملهم مكانته الرئيسية فيها، فهو في الحضارة العراقية القديمة يمثل (لوكال) ومعناها الحرفي (الرجل العظيم)، وفي الفلسفة يمثل الملك-الرئيس ذي الصفات أو الخصال المميزة

المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

ابن رشد: تلخيص السياسة، المصدر نفسه، ص ١٦٩.

المصدر نفسه، ص ١٧٠.

افلاطون: الجمهورية، ك٢، المصدر السابق، وارسطو: السياسيات، المصدر السابق، المقالة الفارابي: آراء اهل المدينة، المصدر السابق، ص ١١٦. وابن رشد: المصدر نفسه، ص ٨١ وما بعدها.

- التي لا تحصل لإنسان اعتيادي، بل لإنسان مميز، وفي المخيلة الفنية حل صورة الشجاع المنفذ الموجه الذي يحمل بشارة النصر معه دوماً.
٣. البطل المفكر أو المفكر البطل هو البعد العملي للفيلسوف، فالبطل هو العظم الذي أكتسب سمات عظمته من الآخرين ولم يفرضها عليهم فرضاً، لذلك تجسدت البطولة في كل فعل وقول وسلوك بترك أثراً إيجابياً في الآخرين.
٤. البطولة فردية كانت ام عبقرية، علمية ام اجتماعية، عمرانية ام جهادية لا يمكن لها ان تكون من غير مناخ اجتماعي وعقدي وقانوني وسايكولوجي، فلا بطل من غير معيه وجماعة وطلبة وشعب عظيم.
٥. البطولة مفاهيم لا يجتمع عليها النقيضان (الاجابي والسلبى)، فالبطل الحق يترك ذلك العظيم التاريخي، لا المستبد المتغلب المقامر.